

# العلوم المبسطة في قوالب فنية تجتذب الشباب

## نجوم جبهة العلوم يرفضون اتهامهم بتسطيح المادة العلمية



مجال مغر



الغليبي نموذج مغاير للشباب اليمني

استطاعت مجموعة من الشباب العرب، في دوائر منفصلة، تغيير النمط السائد عن تعقيد العلوم وعزلتها بإبداعات قدمت المادة العلمية في قوالب بسيطة، ووظفوا الإمكانيات التكنولوجية حتى بات للمادة العلمية جمهور عريض ينتظر حلقاتها بشغف، ويدخل في نقاشات حول العلم.



رحاب عليوة  
كاتبة مصرية

انجذب الشباب على نحو لافت إلى العلوم بالمصادفة خلال الأعوام الماضية، فالعلوم لم تكن هدفاً مستقبلياً لغالبية الشباب تماشياً مع الصورة النمطية السائدة حول تعقيدها وعزلتها عن العامة واقتصارها على المتخصصين، بينما يحسب الفضل في خلق جمهور عريض يُقدّر بالملايين، وفق مشاهدات مقاطع علمية في غضون ساعات قليلة من بثها، إلى شباب أمثال هاشم الغليبي وأحمد الغندور وإيمان الإسام، ممن يصنفون كـ"مخاضين علميين".

ويقدم الثلاثة مادة علمية بتكتيكات مختلفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، في مقاطع فيديو تتراوح مدتها من دقيقة إلى نحو النصف ساعة أحياناً، وتعتمد في الأساس على تبسيط المادة العلمية وتقديمها في قوالب فنية أو بشكل جاد، لكنه جذاب.

وبفضل تلك الإسهامات، اكتسب جمهور مواقع التواصل الاجتماعي توظيفات جديدة لهذه المنصات التي غلبت عليها الأنماط الترفيهية والاجتماعية، واتهمته بإهدار الوقت دون فائدة، وأصبح لمتابعي تلك البرامج دفاعات جديدة عن المنصات الأقرب إلى جيلهم، فدونها ما كانت "الجيئات والغفاه والنظريات الفلسفية" مادة لأحاديث في غرف المحادثات والمقاهي.

يتوجه كل من أحمد الغندور وإيمان الإسام إلى الجمهور العربي بطرق مختلفة عن هاشم الغليبي الذي استطاع خلق نموذج مغاير كشباب انتقل من دولة تعاني الحرب مثل اليمن إلى مجتمع علمي متقدم مثل ألمانيا ليبرز ويحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد المتابعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والمرتبة الأولى هناك في المحتوى العلمي.

الغليبي شاب يمني تلقى دراسته الجامعية في باكستان في مجال التكنولوجيا الحيوية، وأكمل الدراسات العليا في ألمانيا في مجال الهندسة الجينية. ويقول لـ"العرب"، إنه بدأ بث مقاطع فيديو باللغة الإنكليزية في العام 2015 عن الغوص في أيسلندا، وهي منطقة تستطع فيها أن تلمس قارتين في آن، ليحقق المقطع 8 مليون مشاهدة.

### قوالب جادة للعلم

حققت مقاطع الغليبي حتى الآن نحو 13 مليار مشاهدة، وتجاوز عدد متابعيه على موقع فيسبوك 32 مليون متابع، ويحتل العرب المرتبة السادسة بينهم، فيما يتقدمهم الأميركيون.

وأكد الشاب اليمني المقيم في ألمانيا لـ"العرب"، خلال زيارة للقاهرة للحديث حول تجربته في جبهة العلوم والتحديات التي تواجه المجتمعات العربية، أن المادة التي يقدمها تعد الأكثر ملاحظة على طابعها العلمي وهي تعتمد قوالب جادة، ولا يظهر فيها عكس "الدحيح" و"الاستبالية"، ما يجعله أقرب إلى الأفلام الوثائقية التي تقدمها القنوات العلمية، لكنها أكثر جذباً لبساطتها وقصر مدتها.

### سحر الفيديوهات

مجتمع لم يتجاوز الألفية بائية، وتنتشر في وجدانه الخرافة والأساطير، فإن خلق جمهور، ولو عرضياً، وبحيل الدراما والنكتة والمؤثرات البصرية، للعلوم تغيير لافت وإنجاز ولو استغرق 20 عاماً كي نجني ثماره، وفق تقدير الشاب الغليبي.

**بات العلماء اليوم أكثر ثقة في قدرة الجمهور على استيعاب أبحاثهم المعقدة حال تبسيطها عبر وسائط في فيديوهات جذابة، وكذلك أضحت الجمهور أكثر شغفاً بتلك المواد**

وتحولت تلك البرامج إلى استثمارات بالنسبة للشباب، ووجدت لأصحابها رأس مال كبير وحولتهم إلى نجوم مجتمع بجهود شخصية بسيطة استطاعت جذب الانتباه، قبل أن تنتقل إلى خانة الاحترافية.

لكن قد يحدث تضليل من تلك النوعية من البرامج جلباً للربح، بحيث يتم تقديم مادة إعلانية كمادة علمية، وهو ما يجب رفضه.

ولفت مدير تحرير جريدة الأهرام المصرية، فتحي محمود، لـ"العرب"، إلى توظيفات سياسية يمكن أن تتم عبر تلك المواد التي يقدمها الشباب، على الرغم من تحفيزه الشديد لها، وتأكيده على ضرورة التوجه إلى ذلك المضمار وليس التعامل معه وفق الرؤية الأمنية.

وأضاف، أن قناة الجزيرة أصدرت منصة تفاعلية قامت بإنتاج برامج للمحتوى المنتشر عبر الإنترنت ممن حازوا الانتباه، ومثل المحتوى العلمي جزءاً كبيراً من المادة، ضمن محتويات أخرى كثيرة غير موجهة، لكنها وسط ذلك تدس برنامجاً أو اثنين موجهين لأغراض معينة.

وأكد أن ثمة حوالي 20 مليون شاب مصري تعتبر منصات التواصل الاجتماعي هي وسائل الإعلام الحقيقية بالنسبة لهم، متوقفاً أن تنقرض البرامج الحوارية (توك شو) مستقبلاً ليسود نمط مقاطع الفيديو القصيرة المنتجة عبر المنصات الإلكترونية.

العقل معلومات سريعة يأخذها المتلقي كمسلمات ويبني عليها آراء ومعتقداته، ويشيرون إلى طبيعة المتلقي "العرضي" أو "مشاهد الصدفية" الذي لم يقصد بالأساس مشاهدة مادة علمية، وغير متوقع أن تستثيره معلومة ما للبحث في خلفياتها والآراء المؤيدة والمعارضة، ويصح لدينا جيل من الشباب يظن أنه علمي لمصادفة معلومات ما وتصديقها.

وسُئلت الطبيبة ومقدمة برنامج "الاستبالية" إيمان الإسام على هامش ندوة في معهد غوتة الشهر الماضي حول "الصحافة والعلوم" وكانت إحدى المتحدثات فيه حول تهزيب برامجهم للعلم من إحدى المتابعات، فردت قائلة "هذا اتهام باطل، بل على العكس تخليق مهمين جد، أنا أمنحك معلومة وأثير تفكيرك حول قضية علمية ما، وهذا يفترض أن يدفعك لتلقي المزيد والبحث إذا لقي الموضوع اهتمامك، فذلك البرامج لا تلغي الكتب والدراسات والطرزوات، هي فقط تحاول تقديمها للعامة".

قبل الإسام، رد الغندور على تلك الاتهامات عبر منشور على صفحة "الدحيح" على فيسبوك، قائلاً "ناس كثيرين يقولون إن برنامج الدحيح سطحي، وردي هو الموافقة على ذلك".

فسر أنه يسير وفق مبدأ "أعطني معلومة سريعة عن الموضوع ربما نال إعجابي... تريد حديثاً غير سطحي توجد مؤسسات أكاديمية ودراسات عليا في الجامعات ورسائل لنيل الدرجات العلمية المختلفة، ومحاضرات عبر منصات تعليمية رقمية وكتب متخصصة ومصادر أشهرها مع الفيديو وأدع المشاهدين بإلحاح لقراءتها".

**جمهور عرضي**

أشار الغندور، الذي درس علم الأحياء في الجامعة الأميركية بالقاهرة، إلى مشقة العمل الذي يقدمه، "من الصعب بل قد يصل إلى المستحيل عرض كافة النظريات والأسباب والأدلة والعوامل ووجهات النظر والنقد في مقطع مدته 6 أو 7 دقائق"، منبهاً إلى الصعوبة التي يواجهها في تحضير تلك المادة وصياغتها في شكل يحافظ على انتباه المشاهد، "فدائماً عرض الحلقة قشور بالنسبة إلى تحضيرها".

ويغض النظر عن جدلية حجم التأثير الذي يمكن أن يحدثه هؤلاء الشباب في

ودمج كل ذلك، ثم نشر الفيديو، علماً بأنه ينتشر مقطعين في اليوم الواحد حول مواضيع مختلفة.

ويسعى الشاب اليمني إلى تغيير نمطه خلال الفترة القادمة، حيث تعلم تصميم "الرسوم المتحركة" (أنيميشن) لتوظيف مقاطع ذات بصمات خاصة، كما سيظهر في المحتوى بنفسه، بعدما كان في الكواليس.

### بساطة أم تهاة

تتضمن الخطط القريبة لهاشم الغليبي التوجه أكثر نحو المجتمعات العربية، عبر ترجمة المحتوى، في خطوة مليئة بالتحديات، فلن ينتقي مواضيع يعينها ويتجنب الأخرى خوفاً من الرفض المجتمعي لها، بل ينوي أن يخوض القضية بشكل كامل.

وهو سيرجم كل المحتوى، وما لا يتفق مع آراء وتوجهات مجتمع ما فليرفضه، وإن كانت الأمور لا تجري بذلك البساطة، فيعرض المواضيع مجرد إشارات قد تتبعه اتهامات بالكفر والإحاد.

وكان اليوتيوبر أحمد الغندور مقدم برنامج "الدحيح"، تعرض إلى حملة هجوم شديدة من الإسلاميين في يوليو الماضي، إثر تناول نظرية التطور في إحدى حلقات برنامجها، واتهم إثرها بنشر الإحاد.

ويتوقع الغليبي أن تستغرق المجتمعات العربية وقتاً أطول للتحويل إلى مجتمعات علمية، فالمحتوى المبسط يحدث تأثيراً لكنه بطيء جداً عربياً في ظل المعتقدات المتأصلة والعادات والتقاليد، فضلاً عن تساؤل هل يفكر ويدقق المتلقي أم يأخذ المقطع كترفيه وليس للتعلم، "ولو استفاد شخص واحد من المحتوى الذي أقدمه فاعتبره انتصاراً، فقد يقود هذا الشخص الكثير من بعده".

ومن المنتظر أن تستفيد المجتمعات العربية ببطء مما يتابعه الشباب من مادة علمية مبسطة عبر تلك النوعية من البرامج، هي إشكالية جديدة. ويرى مهاجمو ذلك المضمون، وبعضهم من دارسي المواد العملية وداخل الأوساط الأكاديمية، أن المحتوى المقدم "تهزيب وليس تبسيطاً للعلوم واختزالاً واضحاً".

ويذهب هؤلاء إلى أن المضمون المقدم لم ينل فقط من رصانة العلوم وتقديمها في قالب راسخ، لكنه منح

تبسيطها عبر وسائط، وكذلك أضحت الجمهور أكثر شغفاً بتلك المواد.

ولا يقف التأثير عند حدود المتابعة، بل تنجح المقاطع التي تبث في تحقيق تغيرات في المعتقدات والأفعال، مثلاً حلقة حول "الأصنام واللحاحات" وتسود المجتمعات الغربية تخوفات ومعتقدات خاطئة عن المصل واللحاح بصورة تتجاوز حتى المجتمعات العربية، ما دفعه لعمل مقطع عن طبيعتها وطريقة عملها وتتبعه تعليقات كثيرة تتحدث عن تغير وجهة نظرهم عقب المشاهدة.

ولا تعكس كل الرسائل التي تصل تعليقات إيجابية، إن يتعرض للتهديدات والعنصرية أحياناً، منها ما ربطه بالإرهاب لمجرد كونه عربياً، حيث قالت إحدى الرسائل "ماذا بعد ذلك تهتف الله أكبر وتفخر أي شيء".

وتعد الشريحة الأكبر من المتابعين من الشباب، لكن الأمر لا يخلو من وجود أطفال بين المشاهدين، وما يمكن أن يحدثه ذلك من تغيرات في قراراتهم الدراسية والتخصصية وربطهم بالعلوم، كما تفيد بعض المقاطع في شرح مقرر دراسي ما فيستوعبه الطلاب على نحو أفضل، مثل المقطع الخاص بالخلية الجذعية.

وينظر الغليبي إلى الإنجاز الذي حققه بتواضع، قائلاً "هي مجموعة من المعايير يستطيع من يتابعها أن يحقق محتوى ناجحاً يحظى بالمشاهدة في أي مجال كان، وحدها تحت اسم معايير الفيديو الممتاز؛ وهي: اختيار الموضوع بعناية، مدة الفيديو مناسبة لاستيعاب المستوى المعين للتركيز الذي يمكن أن يبذله الشخص على مواقع ترفيهية بالأساس مثل الفيسبوك، والموسيقى المختارة، والصور والفيديوهات المستخدمة".

واعتمدت مقاطع الغليبي خلال الأعوام الماضية على لقطات تصويرية موجودة بالأساس على مواقع معينة، باستراتيات سنوية، بحيث يصبح عمله وفريقه المكون من 4 أشخاص، يتمثل في اختيار الموضوع وكتابة المادة وتوظيف المقاطع الملائمة والموسيقى،

**المجتمعات العربية من المتوقع أن تستغرق وقتاً أطول للتحويل إلى مجتمعات علمية، فالمحتوى المبسط يحدث تأثيراً لكنه بطيء جداً في ظل المعتقدات والعادات والتقاليد**

